الآراء الواردة في الصفحة تعبر عن وجهات نظر كتابها ، وقد لا تتفق بالضرورة مع وجهة نظر الجريدة

من يقود اليابان بعد استقالة "حلمها"؟

د. عبدالله المدني
محاضر اكاديمي - البحرين

من سيقود ثاني اكبر ديمقراطية خارج العالم الغربي و ثاني اكبر اقتصاد في العالم؟ هذا هو السؤال الذي برز على الساحة منذ الاستقالة المفاجئة لرئيس الحكومة اليابانية الشاب شينزو أبي (٥٢ عاما) أوائل الشهر الجاري بعد أن أمضى في السلطة سنة واحدة فقط. وهو سؤال صار أكثر طرحا مع اقتراب الموعد الذي حدده حزب البلاد الأكبر و الأعرق (الحزب الديمقراطي الحر) لانتخاب زعيم جديد له و الذي سيتولى اتوماتيكيا رئاسة الحكومة، على اعتبار أن الحزب لا يزال يتمتع بأغلبية مقاعد مجلس النواب الذي لقراراته الخاصة بتسمية رئيس الحكومة صفة متقدمة على قرارات مجلس الشيوخ، حيث خسر الحزب الحاكم أغلبيته فيه في انتخابات أواخر تموز الماضي لمصلحة حزب المعارضة الرئيسي (حزب اليابان الديمقراطي).

صحيح أن استقالة الحكومات في اليابان أمر ليس بالغريب، بل هي ظاهرة ربما لا تشاركها فيها الديمقراطيات الأخرى من حيث عدد مرات حدوثها، و صحيح أن تلك الاستقالات معطوفة على تغير وجوه القادة لم تؤثر كثيرا في استقرار البلاد و توجهاتها و الخطوط العريضة لسياساتها منذ بزوغ و ترسخ نظامها الديمقراطي الحديث في أعقاب الحرب العالمية الثانية. غير أن هناك الكثير مما يمكن قوله في اختلاف الحدث هذه المرة عن السابق.

فرئيس الوزراء المستقيل كان اصغر رؤساء الحكومات اليابانية سنا و الوحيد الذي لم يعاصر الحرب العالمية الثانية. و هو جاء إلى السلطة حاملا وعودا بأن يخلق "يابان أكثر جمالا"، لذا وصف بأنه حلم اليابان. ثم أن من اختاره و دفعه إلى الواجهة هو سلفه "جونيتشيرو كويزومي" الذي أراده أن يكمل ما خلقه من ديناميكية في الوسط السياسي، وما دشنه من إصلاحات حزبية ودستورية و اقتصادية جذرية بهدف تحجيم قوة البيروقراطيين و عواجيز الحزب الحاكم و تحرير الاقتصاد من بقايا السياسات المحافظة، و إطلاق وجه جديد لليابان يتناغم مع متطلبات و تحديات الألفية الثالثة.

ومن جهة أخرى، فان هذه هي المرة الأولى، منذ استقالة رئيس الوزراء الأسبق كيشي نوبوسوكي في عام ١٩٦٠ ، التي يخسر فيها رئيس حكومة يابانية منصبه لأسباب ذات علاقة بروابط التعاون و التحالف مع الولايات المتحدة، و المفارقة هنا هي أن نوبوسوكي هو جد شينزو أبي. صحيح أن استقالة أبي كانت بسبب جملة من العوامل مثل فقدان حزبه للأغلبية في مجلس الشيوخ بعد الانتخابات الأخيرة، وتورط عدد من وزرائه في فضائح مالية و بالتالي اضطرارهم إلى الاستقالة، و تراجع شعبيته إلى ٣٠ بالمئة طبقا لاستطلاعات الرأي التي أجرتها صحيفة يوميوري، إلا أن العامل الأقوى كان فشله في خلق دعم كاف للتمديد مجددا للمهمة اللوجستية التي تقوم بها قوات الدفاع اليابانية في المحيط الهندي لصالح القوات متعددة الجنسية العاملة في أفغانستان و غيرها.

والجدير بالذكر أن هذه المهمة بدأت في عام ٢٠٠١ و لمدة عامين، و ذلك بموجب قرار تم تمريره في مجلسي النواب و الشيوخ. و منذ ذلك الحين مددت المهمة ٣ مرات في الأعوام ٢٠٠٣ و ٢٠٠٥ و ٢٠٠٦ ، و في كل مرة كان حزب اليابان الديمقراطي المعارض يصوت ضد المهمة و تمديدها، لكن دون نجاح. على أن الأمر تغير اليوم بوجود أغلبية للحزب المذكور في مجلس الشيوخ يستطيع من خلالها إعاقة التمديد مرة أخرى حينما ينتهي مفعول التمديد السابق في نوفمبر القادم. و كان زعيمه "ايتشيرو اوزاوا" ،الرجل القوي سابقا في الحزب الديمقراطي الحر الحاكم، قد أطلق خططا و حملات منذ يوليو الماضي ليس للتصدي لعملية التمديد فحسب و إنما أيضا للقاعدة القانونية التي تستند إليها و هي قانون محاربة الإرهاب. على أن الكثيرين يعتقدون أن "اوزاو" لا ينطلق من موقف عدائي أو شبه عدائي ضد علاقات التحالف اليابانية- الأمريكية، و إنما ينطلق من تكتيكات هدفها خلق أزمة سياسية و الإطاحة بحكومة الديمقراطيين الأحرار من اجل الدعوة إلى انتخابات عامة جديدة قبل أوانها المفترض في عام ٢٠٠٩ ، و هو ما نجح في بعضه حتى الآن. فالرجل نفسه كان من اشد المدافعين لمشاركة القوات اليابانية في عمليات إسناد القوات الأمريكية أثناء حرب تحرير الكويت، و حزبه لا يزال طبقا لبياناته حريصا على استمرار روابط اليابان التحالفية مع الأمريكيين، و إن كان يطالب بشروط أفضل و هامش اكبر من الاستقلالية، ويصر أن تكون مشاركة القوات اليابانية في الخارج فقط في الحالات التي يصدر فيها تفويض من مجلس الأمن.

وحينما ينشر هذا المقال يكون السباق حول الظفر بقيادة اليابان قد وصل نقطة النهاية، و تحديدا ما بين شخصيتين لا يجمعهما سوى الانتماء الحزبي و صفة الانحدار من بيتين سياسيين عريقين. فبعد رفض كويزومي رفضا قاطعا دخول السباق، ونفي وزير المالية السابق "ساداكازو تانيغاكي" نيته التنافس على زعامة الحزب الحاكم مثلما فعل دون نجاح في العام الماضي، و انسحاب وزير المالية الأخير "فوكوشيرو نوكاغا" من المنافسة، لم يبق سوى "ياسو فوكودا" (٧١ عاما) و "تارو أسو" (٦٦ عاما).

والأول هو الابن الأكبر لرئيس الحكومة الأسبق تاكيو فوكودا، و يعتبر من الساسة المخضرمين الذين يميلون إلى الاعتدال و التوافق و يتهيبون إطلاق المبادرات الجريئة أو دخول المعارك السياسية. و هو بهذه الصفات قد يتسبب في إيقاف زخم الإصلاحات التي بدأها كويزومي في عام ٢٠٠١ و واصلها أبي من بعده، و العودة إلى السياسات النمطية القديمة التي حطمها الأخيران، في حالة فوزه بالزعامة، و هو أمر محتمل بقوة في ظل تمتعه بدعم أجنحة عدة داخل الحزب الحاكم إضافة إلى جناحه الذي يملك ٨٠ مقعدا في مجلسي البرلمان من اصل ٣٨٧ مقعدا للحزب الحاكم.

أما الثاني فهو حفيد رئيس الحكومة الأسبق "شيغيرو يوشيدا"، وكان وزيرا للخارجية حتى الشهر الماضي حينما خرج من الحكومة في تعديل وزاري. وحتى وقت قريب كان ينظر إليه على انه الأوفر حظا لخلافة زميله أبي الذي يشترك معه في الكثير من الأفكار الإصلاحية و السياسية ولاسيما تلك الخاصة بمسائل الأمن و العلاقات الخارجية. لكن حظوظه الآن تبدو متراجعة بسبب اصطفاف معظم أجنحة الحزب الحاكم مع منافسه فوكودا، وتعرضه لانتقادات حادة من رفاقه الحزبيين بسبب ما قيل عن فشله في إقناع أبي بتأجيل استقالته، ناهيك عن أن الجناح الذي يتزعمه ليس له في مجلسي البرلمان سوى ١٦ نائبا. على أن ما يخدم "تارو" هو تمتعه بشعبية في الشارع أكثر من فوكودا، و هذه الميزة قد توفر له أصوات كل الخائفين من احتمالات خسارة الحزب الحاكم في أية انتخابات عامة قادمة. و يبدو أن الرجل يراهن أيضا على دعم ٤٧ من الزعماء المحليين الممثلين في البرلمان و الذين لكل منهم ٣ أصوات في أي اقتراع.

هل من دور للنفط في اسقاط حكم البعث بالعراق؟ (٣-٣)

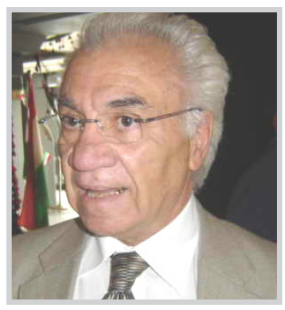

كاظم حبيب
كاتب سياسي - المانيا

أصبح العراق دولة مشاكسة وحامية للإرهاب، والإرهاب يهدد العالم كله ولكنه يهدد إمدادات النفط أيضاً. وعلينا أن نتذكر الصواريخ البائسة التي أطلقها صدام حسين على إسرائيل في فترة حرب الخليج الثانية، وبالتالي أصبح النظام في عين الغرب يشكل خطراً جدياً على إسرائيل برغم ضعفه، إذ كان لا يزال يسعى إلى تنشيط العمل العربي الشعبي ضد إسرائيل. لقد تعطل تصدير نفط العراق كثيراً في فترة الحصار الاقتصادي، وراحت ألسعودية تصدر المزيد من النفط الخام للتعويض عن النقص في النفط ألعراقي. وكانت شركة أرامكو السعودية مرتبطة عضوياً بالولايات المتحدة بشكل خاص، وكانتا معاً الرابح الأساسي من ذلك. يمكن للجدول التالي أن يوضح الفارق ذلك:

تطور عوائد تصدير عائدات النفط الخام في العراق للفترة ١٩٨٨-٢٠٠٢

السنة	عوائد النفط السنوية مليون $ أمريكي	الرقم القياسي 100=1988	نسبة عوائدها إلى إجمالي عوائد الدول العربية من النفط الخام %
1988	10952	0،100	6،17
1989	14500	4،132	8،17
1990	9463	4،86	2،9
1991	380	5،3	4،0
1992	380	5،3	4،0
1993	365	3،3	4،0
1994	365	3،3	4،0
1995	370	4،3	4،0
1996	680	5،3	3،0
1997	4590	9،41	9،3
1998	6790	0،62	3،8
1999	12104	5،110	3،10
2000	18150	7،165	6،9
2001	12676	7،115	9،7
2002	13251	0،121	2،9

المصدر: التقرير الاقتصادي العربي الموحد، الكويت، ايلول ١٩٩٦، ٢٠٠٠ و٢٠٠٣ على الصفحات ٢٨٦، ٣٠٩، و٣٠١ على التوالي. احتسبت النسب المئوية وفق الأرقام المعطاة في التقرير. والنسب مقربة. ويمكن لهذه الأرقام أن تساعدنا في تأشير ثلاث ملاحظات مهمة.

تطور صافي عائدات تصدير النفط الخام في المملكة العربية السعودية للفترة ١٩٨٨-٢٠٠٢

السنة	عوائد النفط السنوية مليون $ أمريكي	الرقم القياسي 100=1988	نسبة عوائدها إلى إجمالي عوائد الدول العربية من النفط الخام %
1988	20206	0،100	9،32
1989	24096	3،119	6،29
1990	40128	6،198	9،39
1991	43656	1،216	3،48
1992	47560	4،235	2،48
1993	41353	6،204	1،45
1994	38300	5،189	7،43
1995	42700	3،211	7،43
1996	50050	8،247	7،42
1997	48220	6،238	6،40
1998	31980	3،158	9،38
1999	44934	4،222	7،54
2000	70960	2،351	7،37
2001	62981	7،311	0،39
2002	55931	8،276	9،38

المصدر: التقرير الاقتصادي العربي الموحد، الكويت، ايلول ١٩٩٦، ٢٠٠٠ و٢٠٠٣ على الصفحات ٢٨٦، ٣٠٩، و٣٠١ على التوالي.

وازدادت معه عوائد العراق المالية نسبياً.

ومنه يمكن القول بأن خسارة العراق نتيجة توقف أو تقلص شديد في انسياب نفطه، شكل في ذات الوقت فائدة مالية كبرى بالنسبة للسعودية وبعض دول الخليج وللولايات المتحدة الأمريكية بصورة غير مباشرة. إلا أن الحالة لم تكن مستقرة والمفاجئات المحتملة لم تكن غائبة عن راسمي السياسات الأمريكية في الشرق الأوسط.

إن العملية الإرهابية التي وقعت في الحادي عشر من أيلول ٢٠٠١ ضد الولايات المتحدة فتحت الباب على مصراعيه أمام تغيرات جدية في الساحة الدولية وأكدت مخاطر القوى الإسلامية السياسية اليمينية والأصولية المتطرفة، التي ربتها الولايات المتحدة والسعودية وباكستان ودربتها ومنحتها مواقع مهمة في المجتمعات الإسلامية كمجاهدين ضد الاحتلال السوفييتي وضد الشيوعية، على المصالح الغربية كلها وعلى المجتمع الدولي وعلى ذات الدول التي انبعثت منها تلك الحركات المتطرفة والإرهابية. ففجرت في ضوئها الحرب ضد أفغانستان. وإذا كانت كارثة ١١ أيلول على الشعب الأمريكي، فإنها فتحت في المقابل شهية الشركات الاحتكارية النفطية للولوج إلى كامل منطقة آسيا الوسطى وغرب آسيا بحيث تسمح لها بالسيطرة على ما يقرب من ٧٦ ٪ من احتياطي نفط العالم. وقد بدأت فعلاً عملياً مد أنابيب نقل النفط من وسط آسيا عبر أفغانستان. كما وفرت الحرب في العراق في العام ٢٠٠٣ السيطرة غير المباشرة على نفط العراق.

إن العراق يسبح على بحيرة تمتد من أقصى مناطق إقليم كردستان العراق إلى أقصى جنوب العراق وما بين هذه المناطق. ويقدر احتياطه الفعلي بحدود ١١٥ مليار برميل، وأكثرها رغبة في ممارسة العنف والتعذيب وخوض الحروب، ويعتبر سقوطه مكسباً كبيراً ليس للعراق حسب، بل للمنطقة بأسرها وللعالم كله.

ومع ذلك، فعلينا أن نتساءل عن الأسباب الأخرى لإسقاط نظام صدام حسين الاستبدادي؟ ليس هناك من يبكي على نظام ساقط كنظام صدام حسين إلا أولئك الذين كانوا في ركاب هذا النظام أو أبواقاً له أو مستفيدين منه، وسواء أكانوا من السنة أم الشيعة أم من المسيحيين أم من الصابئة المندائيين أم من الإيزيديين، وسواء أكانوا من العرب أم الكرد أم من قوميات أخرى. ولكن حين نبحث عن العوامل التي قادت إلى الحرب والإطاحة بهذا النظام الدموي، لا بد من وضع اليد عليها بشكل صحيح بهدف الاستفادة منها في تعاملنا مع الواقع الراهن.

لا يجوز تصور إن الحرب ضد النظام العراقي كانت تستهدف العراق وحده، بل أن العراق يشكل حلقة في سلسلة من الأهداف المرتبطة باستراتيجية دولية لأكبر دولة في العالم تشكل حتى الآن القطب الأحد، رغم بدء تشكل أقطاب أخرى ستبدو واضحة في العقد القادم من القرن الحادي والعشرين. أن الأمر يستوجب رؤية أشمل وأعمق من محاولة حصرها بالنفط الخام العراقي.

من الجدير بالإشارة إلى أن الصراع الدولي لم ينته بسقوط الاتحاد السوفييتي، بل تواصل واتخذ أشكالاً جديدة بصورة منافسة، وسيتبلور هذا الصراع الدولي على المصالح أكثر فأكثر على شكل محاور دولية عديدة. ولا بد من تأكيد حقيقة أن هذا الصراع لا يدور في فراغ كما أنه ليس بدون أهداف، بل يدور على أرض الواقع وفي الدول النامية على نحو خاص وعلى مصالح متباينة في ظل العولمة المتطورة باستمرار. وفي هذا الصراع تبرز لدى الأطراف المتصارعة الحاجة إلى:

كسب حلفاء بين دول العالم، إقامة قواعد عسكرية على أرض تلك الدول، تسلح متواصل، وهذه الظاهرة بدأت تقود إلى سباق تسلح جديد في العالم وفي الأقاليم والدول المختلفة، ونلمس هذا على الصعد الدولية والإقليمية في آن واحد ولا يقتصر على السلاح التقليدي بل الأسلحة الأخرى المحرمة دولياً، والسعي لكسب مواقع اقتصادية قوية للاستثمار الرأسمالي والحصول على الموارد الأولية ذات الأهمية الاستراتيجية، ومنها النفط. فهل للعراق أهمية خاصة في هذا الرؤية للمسألة موضوع البحث. علينا أن نؤكد، برغم سباق التسلح الجديد وبروز مظاهر جديدة لحرب باردة من نوع آخر،أن الجميع يتحدثون عن السلام وقوة الردع للحفاظ على السلام. ورغم وجود مصالح مشتركة بين الدول الرأسمالية الصناعية المتقدمة، فأنها لا تتفق بالضرورة على صيغ سياسية موحدة أو إجراءات موحدة. ففي الوقت الذي اتفقت فيه على الحرب في أفغانستان، اختلفت بشأن الحرب في العراق وتحت ظروف وعوامل وحسابات متباينة. وعلينا أن ننتبه للحقائق التالية التي وردت في دراسة لمعهد التخطيط في الكويت عن النفط في المنطقة نشر على موقع الجيران الإلكتروني: "على المستوى الإقليمي، يتوزع إنتاج النفط الخام في الوقت الحاضر بشكل أساسي حسب بيانات عام ٢٠٠٤ في منطقة الشرق الأوسط ٢٩٪ من الإنتاج العالمي، ومنظمة التعاون الاقتصادي والتنمية ٢٦٪، دول الاتحاد السوفيتي السابق ١٤٪، تليها أفريقيا وأميركا اللاتينية والصين وآسيا. أما على صعيد الدول فما زالت المملكة العربية السعودية تتبوأ مركز الصدارة من حيث إنتاج النفط الخام، فقد بلغ متوسط إنتاجها اليومي عام ٢٠٠٤ حوالي ١٠,٣٧ ملايين برميل، تليها روسيا ٩,٢٧ ملايين برميل يومياً، فالولايات المتحدة الأميركية ٨,٦٩ ملايين برميل، ثم إيران فالمكسيك فالصين (جدول رقم ٢). وفي عام،٢٠٠٤ بلغ متوسط إنتاج دول أوبك اليومي حوالي ٣٠,١٦ مليون برميل من متوسط إجمالي الإنتاج العالمي البالغ ٧٢,٤٨ مليون برميل يومياً أي ما نسبته حوالي ٤٢٪ في حين بلغت حصة دول خارج أوبك حوالي ٥٨٪ وأبرزها روسيا والولايات المتحدة الأميركية ودول الاتحاد السوفيتي السابق، فالصين والمكسيك والنرويج وكندا". (موقع الجيران. الصفحة الرئيسية، الدراسات. نشرت الدراسة بتاريخ ٢٠٠٦/٦/١٣ وأخذ المقتطف بتاريخ ٢٠٠٧/٩/١٨).

كانت الرؤية الأمريكية تشير إلى النقاط التالية، استناداً إلى معطيات يمكن الركون إليها:

يوفر الخلاص من النظام العراقي وإقامة نظام جديد ديمقراطي في العراق حليفاً قوياً للولايات المتحدة في المنطقة ويوفر إمكانية خلق التوازن إزاء السياسة الإيرانية المتطرفة. وعلينا أن نؤكد بأن الملف النووي الإيراني، وكذا نشوء مشكلة ملف نووي سوري قريباً، قد بدأا يجلبان انتباه العالم، ويفترض أن لا نفاجأ باحتمال توجيه ضربات عسكرية مدمرة للبلدين في حالة الإصرار على السير في الطريق الحالي.

إذن، وجود الولايات المتحدة في العراق يساهم في حصولها على إمكانية الرقابة الجيدة على ما يجري في إيران من جهة، وعلى الجارة سوريا من جهة أخرى.. كما أن وجود الولايات المتحدة في العراق يساعد في مزيد من الأمن لدول الخليج التي عانت من سياسات العراق الخارجية والعربية ومن سياسة إيران في عهد الشاه أيضاً التي احتلت الجزر الإماراتية الثلاث (طمب الكبرى وطمب الصغرى وأبو موسى). وسيكون للولايات المتحدة موقعاً مهماً في المياه الخليجية الدافئة وعلى مقربة من الحدود الروسية التي لم ينته الصراع الدولي معها واحتمال توترها من جديد، والمظاهر نشاهدها ونسمعها يومياً. إن إسقاط نظام صدام حسين لم يعاقب النظام الصدامي بسبب ضرباته الصاروخية ضد إسرائيل حسب، بل ويوفر الأمن لإسرائيل بسبب غياب هذا النظام غير محسوب العواقب ويقلل من غلواء النظام بدعم المنظمات المتطرفة. كما أن إسقاط النظام في العام ٢٠٠٣ هو تهديد مباشر وعلني للملكة العربية السعودية التي ساهم مواطنوها بالأساس في توجيه الضربات للولايات المتحدة الأمريكية في الحادي عشر من أيلول/سبتمبر ٢٠٠١ بسبب التربية الدينية والتثقيف المناهض للأديان الأخرى والمذاهب الأخرى والأفكار الأخرى في النظام التربوي والتعليمي والسياسي السعودي. أن الدرس الذي يفترض أن تتعلمه السعودية بعد أن قدمت لها الولايات المتحدة أكبر خدمة في حينها حين أوقفت إسقاط نظام حسين حسب طلب السعودية لكي لا يهيمن الإيرانيون على العراق، وكان الجزاء ضرب أمريكا في عقر دارها ومن مواطنين سعوديين. أوكد هنا من جديد من إن وجود الولايات المتحدة في العراق سياسياً وعسكرياً واقتصادياً يوفر لها مركزاً مهماً في كل الشرق الأوسط ويضعف منافسة الدول الأخرى على المنقطة بأسرها، وخاصة إزاء الدول الأوروبية واليابان وروسيا والصين مثلاً، رغم العلاقات القائمة بين هذه الدول، فالدولة الأعظم يهمها أن تكون لها الكلمة الأخيرة في المنطقة وفي مجال النفط والتنمية. وستكون هي التي بيدها مفتاح دخول الدول الأخرى إلى هذه المنطقة بالنسبة على القضايا الاقتصادية والاجتماعية والعسكرية والثقافية والبيئية. فالحرب ضد النظام العراقي وفرت للولايات المتحدة الكثير من الجوانب الإيجابية، بعيداً عما نشأت من تداعيات لم تكن محسوبة من جانب الولايات المتحدة، وهي مصابة بالدهشة، في حين كان العراقيون قد شخصوا مثل هذا الاحتمال وبصورة معينة ولكن ليس بهذه الهمجية والشدة والاستمرارية. لهذا لا أرى صواباً في القول التالي: أن ما تحملته أمريكا من أعباء مالية يفوق بكثير مما يحققه لها كل احتياطي نفط العراق. هذا غير دقيق من حيث التوقيت لأن حسابات الإدارة الأمريكية قبل الحرب لم تكن تتوقع بأي حال ما حصل بعد الحرب مباشرة والذي لا يزال مستمراً حتى الآن. لقد كانت تتوقع غير ذلك تماماً، وقد أخطأت في ذلك، ومع الأسف أن أقول بأني كنت قد توقعت الكثير مما حصل، خاصة وان الولايات المتحدة لم تأخذ بالاعتبار نصيحة الخبراء العراقيين، كما لم تهتم بما قيل لها من جانب المحللين السياسيين ومراكز البحث العلمي في الولايات المتحدة، بل اعتمدت على صقور الحرب الذين صوروا المهمة على أنها سهلة جداً، وبالتالي فرطت بإمكانية تكريس الاستقرار والسلام بعد إسقاط النظام الدكتاتوري المريع.

في نهاية هذه المناقشة بودي أن أشير إلى ثلاث ملاحظات، وهي:

❖ كانت الحرب ضد أفغانستان مبررة من جانب الأمم المتحدة ومجلس الأمن الدولي لا بسبب امتلاكها للنفط أو عدم امتلاكها له، بل لأسباب ثلاثة جوهرية، وهي:

١، إنزال العقاب الصارم بنظام طالبان وتنظيم القاعدة لأنهما خططا ونظما ومولا ووفرا الجماعات المنفذة للضربة التدميرية التي وجهت في الحادي عشر من أيلول ٢٠٠١ إلى الولايات المتحدة وراح ضحيتها أكثر من ٢٧٥٠ إنساناً بريئاً، ولكي لا يتجرأ آخرون على ممارسة ذات الفعلة.

٢، ضرب طالبان والقاعدة، وهما تنظيمان يشكلان قاعدة أساسية للإرهاب الدولي من مواقع إسلامية سياسية سلفية وفاشية متطرفة.

٣، كما أن أفغانستان تشكل ممراً مهماً لأنابيب النفط التي يراد إقامتها في آسيا الوسطى والتي بدأ العمل بها فعلياً حيث توجد هناك نسبة مهمة من احتياطي النفط العالمي المعروف تقدر كميته بـ ١١٢ مليار برميل نفط.

❖ أخذ الرئيس الأمريكي جورج دبليو بوش في أغلب خطاباته الأخيرة يركز على نقطة مهمة في أسباب هذه الحرب، وأعني بها قوله بأننا الآن في حالة هجوم على العدو الإرهابي خارج أرضنا، في حين لو لم تكن حرب العراق لكان علينا أن نكون في مواقع الدفاع ضد العدو وعلى أرضنا مباشرة. وعلى كل حصيف أن يفهم هذا القول الذي كرره خلال السنتين المنصرمتين أكثر من عشر مرات.

❖ إن الإرهاب الجاري في العراق والذي تنفذه قوى إرهابية وبعثية صدامية وبعض الميليشيات المسلحة الطائفية التي تدعي النضال ضد المحتل ليست مشكلتها في واقع الحال مع الاحتلال، بل تنبع في حقيقة الأمر من خشيتها القاتلة من التحولات المحتملة في العراق بالاتجاه الديمقراطي في العراق، إذ أن قوى الاحتلال ليست دائمة البقاء في العراق بل ستخرج قطعاً.

وقفة استلهام لآداب وادي النيل

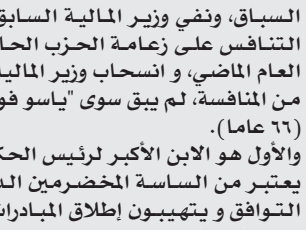

فؤاد يوسف قزانجي
أستاذ جامعي

كانت حضارة وادي النيل أحدى الحضارات البارزة في الشرق، ولعل الحضارات الأولى الرافدينية و وادي النيل والفينيقية، قد أعطت قيماً و أسساً في البناء والثقافة للأقوام الكنعانية والآرامية و العبرية و ساهمت في علومها في نشوء الحضارة اليونانية الرفيعة. ونشأت في مصر القديمة آداب وثقافات ازدهرت في قصص وأشعار وحكم وتمجيد للآله رع اوري وهو اله الشمس الذي تمثله ملوك مصر وسلالتهم، باعتبار ان الشمس مصدر الحياة للكائنات الحية وهناك أناشيد و قصائد شعرية جميلة قيلت في حضرة الإله رع او آمون - رع ومن تلك القصائد الرقيقة التي تبين دور رع في خلق العالم ما يلي:

"الصلاة لك يا رع عند الشروق
يا أتوم عند الغروب
أنك تشرق وتشرق، تسطع و تسطع
متوجاً كملك الآلهة
أنت رب السماء ورب الأرض
الذي خلق الكائنات العليا و السفلى
أيها الإله الذي كان منذ البدء
الذي أنشأ العالم و خلق البشر
والذي أنشأ ماء السماء وخلق النيل
والذي عقد الجبال وخلق الإنسان و الماشية. " (١)

كان الأدب المصري القديم، في عمومه ادباً دينياً متوجهاً الى الالهة المختلفة و الى ما يمثل الالهة من ملوك ورموز على هيئة حيوانات معينة كان المصريون يعتزون بها كالماعز والعجل والقط. وبالنسبة للملاحم الأدبية فقد كانت قليلة لشحة ما وصلنا من برديات مكتوبة وهي بالمقارنة مع الأدب الرافديني او اليوناني تعد متواضعة. وأن كان أدب وادي النيل وأدب بين النهرين متشابهين في تناول الموضوعات المتعلقة بالخلق والوجود والخلود والتطلع الى مستقبل فيما بعد الموت وكذلك في أهمية دور الالهة في الوجود في المعاني والاغراض مثلا بين ملحمة كلكامش وقصيدة مصرية في مدح الموت وقبوله بكل استسلام ورضى، بينما نجد أن الشخصيات البطولية في الملاحم العراقية تتميز بالتحدي ومصارعة الوحوش الشريرة التي تمثل الموت. لنقرأ ما انشيده الشاعر المصري عن الموت:

"أن الموت أمامي اليوم، كالمريض الذي أشرف على الشفاء.
وكالذاهب الى حديقة بعد المرض،

أن الموت أمامي اليوم، كرائحة البخور و المر،
أو كالجلوس تحت الشراع في يوم شديد الريح،
أن الموت أمامي اليوم كرائحة زهرة السوسن،
أو كجلوس الإنسان على شاطئ السكر.
أن الموت أمامي اليوم مثل مجرى الماء العذب، ومثل عودة الرجل من سفينة حربية الى بيته." (٢)

وفي الحكمة وجدنا في مصر حكيماً يدعى (قاقمنا) ينافس احيقار الحكيم في نصائحه و مثله وهو الذي عاش في القرن السابع قبل الميلاد، يقول (قاقمنا):

أسلك طريق الاستقامة لئلا ينزل عليك غضب الإله.
أحذر ان تكون عنيداً في الخصام فتستوجب عقاب الإله الابن الذي ينكر الجيل يحزن أبويه. (٣)

ومن أبرز الأساطير المصرية القديمة أسطورة ايزيس الأم العظمى: "لم تكن ايزيس أخت اوزير وزوجته الوفية و حسب، بل كانت من بعض الوجوه اجل منه قدراً، لأنها قهرت الموت بالحب لقد كانت رمز القوة الخالقة الخفية التي أوجدت الأرض وكل ما عليها من الكائنات الحية؟ وهي التي أوجدت ذلك الحنو للأم الذي يحيط بالحياة الجديدة لوليدها. وكانت ترمز الى مصر كما يرمز مردوخ الى بابل وآشور الى مملكة اشور. وهي ترمز بالنسبة للمصرين ما كان للمرأة أول الامر من زعامة في حرث الأرض ذلك لأنها هي التي عثرت على القمح و الشعير. وكان المصريون يعبدونها عبادة قائمة على الحب والإخلاص. وكانت تماثيلها أحيانا تصور وهي ترضع طفلها الذي حملت فيه بمعجزة من المعجزات." (٤)

ومن الطريف ان القمر أول من عبد في بلاد سومر و بلاد النيل، و فيما أهتم الرافدينيون باله الشمس كما هو الحال في مصر، الأ ان الرافدينيون تنوعت إلهتهم كثيرا و لم تعاد الهيبة الى اله الشمس إلا في العصر البابلي الأول، عندما استلهم حمورابي روح القوانين المرعية في البلاد من اله الشمس. بينما كان رع او الشمس هو الخالق على الدوام في مصر، وكان الفراعنة يحكمون في البلاد باسمه، وان أجمل القصائد الأدبية في مصر القديمة نظمت في مدح رع وآتون وآمون - رع الإلهة وكان آتون في تجليه مجرد صورة لدموزي اله الخصب والنماء، وكان امنموتب قد سمى نفسه اخناتون. وفي أيام امنموتب الثالث نقش كل من (سوني وحور) قصيدة للشمس تعتبر من أجمل القصائد في الأدب المصري والتي تزيد على المائة بيت او سطر. وقد وصلتنا قصصاً ممتعة منها قصة الغريق، وقصة سنوحي التي تعد اكثر القطع الأدبية كمالاً وهي قصة عن شخصية مصرية بارزة غادرت مصر للبحث عن حياة ومستقبل أفضل، و فعلا فقد وجد سنوحي الجاه و المال في خارج بلاده، إلا ان حبه لمصر ولأهله جعله يترك كل شيء و يعود الى مصر.ان الأدب الرافديني السومري الذي وصل الى إطراف البحر الأبيض المتوسط في الإلف الثالث قبل الميلاد ربما أثر على نشأة الأدب في وادي النيل و يقول الباحث المعروف ول ديورانت في موسوعته (قصة الحضارة): " ان هنالك احتمال بأن عناصر بعينها من الثقافة المصرية مستمدة من بلاد الرافدين. فنحن نعلم ان مصر وبلاد الرافدين كانتا تتبادلان التجارة بالطريق المائي." (٥)

كان المصريون يتأملون الحياة بعمق، وقد عبروا في فلسفتهم الشعرية عن الناس الأشرار الذين يغتصبون مال غيرهم قائلين: لمن أتحدث اليوم: الأخوة الأشرار،
وأصدقاء اليوم ليسوا أصدقاء حب،
القلوب قلوب لصوص
وكل رجل يغتصب ما عند جاره
فالرجل اللطيف يهلك، وصفيق الوجه يسير في كل مكان.

اهم المصادر
(١) (٢) (٣) الخطيب، محمد. حضارة مصر القديمة. دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٣ (الصفحات ٢٧١ - ٢٧٨)
(٤) (٥) ديورانت، ول. قصة الحضارة، ترجمة زكي نجيب محمود. القاهرة. لجنة التأليف و الترجمة والنشر، ط ٤ / ١٩٧٣، (الصفحات ٤٣، ١٦٠، ١٦٩) الجزء الأول. مجلد الأول